الكتبة السريان والارمن انّ الالهة ناناي المذكورة كان السوريّون يجعلونها السيّدة فينوس (١ وانّ كثيرين من المؤرخين الرومانيين يدعونها افروديت

ومن ثمّ ترى انّ قولنا لا يخلو من سند متين اذ ألحقنا باسم الـه حمص الشمسي اليغبال اسم إلهة معبودة في تدمر في وسطر تلوح عليه المسحة العربيّة والاراميّة . ولذلك نُصلح قراءة السطر الثالث من الكتابة المكتشفة في قرطبة على هذه الصورة :

Καὶ Κύπρι [εἰς ἀπ(οστολὴν)] Ναν[α]ίᾳ·

« والى فينوس نانيا البالغة الجود »

نوابغ المدرسة المارونية الاولى

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تابع)

٢ البطريرك جرجس عميرة

وهو اول بطريرك ماروني تخرج في المدرسة المارونية

نسبه

هو جرجس بن مخائيل عميرة (٢ الاهدني من انسباء العائلة الدويهية امهُ تُدعى الحاجة (٣ بسطا ابنة المطران سركيس الدويهي (٤ ابن القس موسى الدويهي ولد

١) اطلب في معجم هرتسوك Baudissin, Herzog-Hauck, R. E., XIII, pp. 636-637

٢) ان عائلة عميرة ترحت من اهدن وكان اقام قسم منها في جبدل عموش على ما ذكر البطريرك بولس مسعد، ويوجد في بكفيا عائلة تُعرف ببيت السميرة ولا نعلم ان كانت نازحة من اهدن . وقد اختلف في لفظ اسم هذه العائلة فالمتعارف عُميرة . اما البطريرك الذي نكتب حياته فانه كان يكتب اسمه باللاتينية والايطالية عميرة Amira

٣) كان يُطلق اسم حاجّ او حاجّة على الذين يزورون القدس واستمرّت العادة كذلك حتى ايامنا هذه

٤) معلوم انه يجوز عند الشرقيين ان يسام كاهنًا الرجل المتزوّج دون ان يُلزم بالانفصال عن زوجته . لكنه لا يُرقّى الى الاسقفيّة ما دامت زوجته حيّة . فالمطران سركيس المذكور بعد وفاة زوجته سيم اسقفًا سنة ١٥٦٥ خلفًا للمطران انطون الحصروني مطران اهدن

في النصف الثاني من الجيل السادس عشر في قصبة اهدن فسلّمهُ ابواهُ الى خاله القس يعقوب الدويهي (١ الذي اعتنى بتربيته وتلقينه مبادئ العربية والسريانية فنشأ على حب الفضيلة والاعمال الصالحة . وهو المقصود في زجلية القس الياس عويضه الغزيري بهذه الكلمات : « البطرك جرجس هدناني مشهور بعلم السرياني » . ولمّا رأى البطريرك سركيس الرزي ما تحلّى به هذا الفتى من الصفات الطيّبة ارسله الى رومية في اواخر سنة ١٥٨٣ مع تسعة تلامذة آخرين ليتكملوا جميعاً في الدروس الكهنوتية ويتروضوا على الفضيلة واعمال الرسالة . وقد وكل البطريرك العناية بهم في سفرهم وامر تدبيرهم المادي في رومية الى الخوري يوحنا بن ايوب الحصروني الذي استدعاه الى رومية الكردينال كارافا محامي الطائفة وعهد اليه بمراقبة المطبوعات السريانية في المدينة الابدية وذلك لانه كان ضليعاً في اللغة السريانيّة . واستصحب الخوري يوحنا المذكور رفيقين آخرين هما القس يعقوب ابن سركيس الدويهي ونظنه هو هو خال جرجس عميرة ثم الاخ ابرهيم سمعان من بيت العنيد كما رأينا ذلك في احدى ملحوظات السيد الذكر البطريرك بولس مسعد وكلاهما راهب في رهبنة القديس انطونيوس

اما ارسال هذين الراهبين فجرى تتميماً لما كان قد رسم الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر في براءته (Salvatoris) المؤرّخة في ١٣ ك ٢ ١٥٨٣ حيث فرض ن يُعهد باقامة الطقوس في كنيسة القديس يوحنا الملحق بها الانطوش المارونى الى رهبان القديس انطونيوس الموارنة

اما التلامذة الذين ارسلوا الى رومية مع جرجس عميرة فقد وردت اسماء اربعة منهم في تاريخ الازمنة للدويهي وذكر ثمانية في النقائمة الفاتيكانية التي نشرها حضرة الاب شيخو في مجلة المشرق وفي كتابه « الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية » (ص٧٢) واليك اسماء العروفين منهم : موسى سعد العاقوري من عائلة عنيسي (٢ وجرجس

---

١) القس يعقوب الدوجي رئيس دير مار يعقوب في اهدن كان رجلاً تقيًّا تعب كثيراً في بناء الدير وعلم الاولاد ولقن الدروس الكهنوتية اكثر من مائة كاهن ونسخ الكتب . وظن انه هو الذي سافر الى رومية لا يعقوب الحرديني فان تصحيف اسم اهدن Heden التي جُعلت Herden فتح مجالاً لانخداع كثيرين بتعريب الاسماء

٢) موسى العنيسي ولد في العاقورة . ارسل الى رومية سنة ١٥٨٣ كما رأيت اكمل فيها دروسه ثم سيم كاهناً سنة ١٥٩٣ فيها ايضاً كما يستدل على ذلك بكتابة المكرم ابرهيم جرجس الذي طاب

ابن مخائيل الاهدني المعروف بابن عميرة وهو المترجم الآن ثم جبرائيل نعمه (١ الاهدني الذي عاد الى وطنه سنة ١٥٩٠ هو والقس مخائيل صليبا البسلوقيتي وخدما الطائفة خدماً دينية مشكورة ثم بطرس بن جبرائيل المطوشي (٢ القبرسي التابع ابرشية شدرا (عكار) كباقي التلامذة القبرسيين اي يعقوب بن مخائيل مولود الاقفية وحنا بن جرجس مولود فوتو وجرجس بن انطون مولود الاقفية ايضاً . ثم سركيس

من وثيقة العام ان يرسل اليه الحوري موسى صاحب الفضل والتقوى وتاريخ الرسالة ١٥ ك ١ ١٥٩٣ . وقد مدحه البابا اقليمس الثامن في رقيمه الى البطريرك سركيس الرزي المؤرخ في ١ نيسان ١٥٩٥ قال : «ويوقفكم باسهاب على رعيتنا التي لا ترمي الّا الى منفعتكم ولدنا العزيز الكاهن موسى العنيسي الذي يلفت نظرنا بتقواه وعلمه وتقاوة سيرته» . وعاد الحوري موسى الى وطنه تلك السنة فوكل اليه البطريرك خدمة النفوس ثم سامه اسقفاً ١٥٩٨ على قبرس خلفاً ليوحنا بن اسكيلا وحضر مجمع ضيعة موسى المنعقد في هيكل مرت مورا ١٥٩٨ . وموقع هذه الضيعة في عكار على ما قال الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد . وروى المطران بطرس شبلي ان المطران موسى العنيسي استقال من كرسيه واقيم عوضه المطران جرجس مارون وعمّا قاله السمعاني في لائحة مطارنة الموارنة في المكتبة الشرقية ان الاتراك والاروام عذبوه كثيراً في قبرس واضطهدوا رعيته وان خصومه سقوه سماً . ولم نقف على تاريخ وفاته . وهو المقصود في زجلية القس الياس عويضه التزيري : وموسى كان من عاقوره . مطران سمعته مشهوره . تلميذ المدرسة المذكورة . في العلوم اللاهوتيه

١) قد اشكل علينا معرفة ما صار اليه امر جبرائيل المذكور وتعجبنا من نسبته الى اهدن لان عائلة نعمه من حصرون ومنها المطران يوسف نعمه الحصروني المعروف بنراسيه Gratia الذي أدّى للطائفة خدماً جلّى . وكنا ظننّا انه هو هو جبرائيل الصهيوني لكن هذا الاخير مع اتفاق سنة سفره الى رومية مع هؤلاء التلامذة قد روي انه لم يرق الى الكهنوت الّا سنة ١٦٢٠ مع ان جبرائيل نعمه كان كاهنًا سنة ١٥٩٠ كما ورد في كتابته الى الاب كلوديوس اكوافيفا رئيس الارمنة اليسوعية العام في ٢٩ آب ١٥٩٠ .

٢) بطرس المطوشي ولد سنة ١٥٥٩ . أرسل الى رومية كما رأيت ودرس في المدرسة الرومانية ودخل في الرهبنة اليسوعية في ١٧ ك ٢ ١٥٩٢ ثم عهد اليه بتدريس اللغة العربية في الجامعة الرومانية Collège Romain ارسله البابا مع الاب مارياتي سنة ١٦١٥ الى الكلدان ليرافقا موفد بطريركهم آدم ويتما ارجاع هذه الطائفة الى حضن الكنيسة . ثم جعل رئيساً لرسالة اليسوعيين في صاقز ثم عاد الى المدرسة المارونية كمعرّف للتلامذة سنة ١٦٣٢ وانتقل الى راحة الصالحين سنة ١٦٣٥

له كتاب في نحو اللغة العربية وكتاب في اللاهوت الادبي وقد وكل اليه والطوباوي بارمينوس بفحص السفر الماروني الذي طبع في رومية سنة ١٦٣٢

الرزي بن موسى اخي البطريرك سركيس . اما العاشر فلا نعلم ان كان هو مرقس القبرسي ام جبرائيل الصهيوني على اننا نرجح الاخير لانهُ مذكور في حياته ان ارسل الى رومية وهو في السابعة من عمره وقد ولد سنة ١٥٧٧

وصل هؤلاء التلاميذ الى رومية في اواخر سنة ١٥٨٣ ونالوا شرف المثول بين يدي قداسة البابا والتمسوا منه مكاناً لحلول الغرباء فيه وان يأمر بطبع الكتب اللازمة لصلواتهم فبشَّ لهم قداسته واتزلهم مع رفقائهم في مدرسة حديثي الايمان (néophytes) واقام للغرباء تكية قرب كنيسة مار يوحنا المعروف بالتينة (Della Ficoccia) . على ان هذا الانطوش كان قد امر بانشائه البابا غريغوريوس الثالث عشر في السنة السابقة ورتب له مائتي ريال (Ducats) لنفقاته . ثم في غرة السنة التالية عيَّن له محلًا وهو المذكور آنفاً ووضع له قوانين قبل ان يصل التلاميذ المذكورون الى رومية . واقام هؤلاء الفتيان في الانطوش المذكور يحضرون الدروس في الجامعة الرومانية الى ان افرز لهم الحبر الاعظم مدرسة وخصَّص لها ريعاً وسلَّم ادارتها الى اباء الرهبنة اليسوعية فكان اول رؤسائها الاب يوحنا برونو رفيق الاب اليسانو في قصادته الثانية لدى الموارنة

اما اعتناء الاباء اليسوعيين بتلاميذهم الموارنة وتعلق هؤلاء بهم فتنبئك عنهما الكتابات التي كان يتبادلها الفريقان وقد نشر بعضها حضرة الاب شيخو في لمحته عن الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية

اما جرجس عميرة فامتاز بتقواه وانكبابه على الدرس فلفت انظار معلميه ونعرف بين الذين اعتنوا بتهذيبه الطيب الاثر الاب موسيو ڤيتالاسكي الذي درَّسه اللاهوت ثم بعد موت الاب اكواڤيڤا انتُخب رئيساً عاماً لرهبنته . وكان بين اتراب عميرة الشاب مافيو بربريني الذي رقي سنة ١٦٢٣ الى الحبرية العظمى ودعي اوربانوس الثامن ومن غريب الاتفاق ان هذا البابا السعيد الذكر والبطريرك جرجس عميرة انتقلا الى راحة الصالحين في اليوم ذاته والسنة ذاتها (٢٩ تموز ١٦٤٤)

ولمَّا مهر عميرة في دروسه وكل اليه امر تدريس رفقائه اللغة السريانية وألح عليه كثيرون بتأليف قواعد لهذه اللغة سرياني فنشط الى العمل ووضع باللغة اللاتينية اصول اللغة السريانية ورفع كتابه تقدمة الى الكردينال كايتاني قيم الكنيسة الرومانية .

فطبع الكتاب في مطبعة يعقوب لونا سنة ١٥٩٦ بعد ان اجازه مهردار البلاط البابوي الراهب الدومنيكاني تروما طرّاق (De Terracina) ويوحنا المعدان فهد الحصروني الماروني (١ . واما نفقات الطبع فجاد بها فرديندوس دوق اترورية

وقد جاء المؤلف في مقدمته على ذكر الاسباب التي دفعته الى تصنيف هذا الكتاب منها قرار الطيب الذكر البابا اقليمس الخامس ومجمع ڤينة المنعقد في فرنسة بوجوب اقامة معاهد في اوربة تُعنى بتدريس اللغة السريانية فاراد هو ان يبذل جهده في تحقيق نيات الكنيسة المقدسة ثم مدح الكردينال كايتاني فقال : « اني اقدم لك هذا الكتاب كأنّهُ ثمرة مقطوفة من شجر ارز لبنان والثمرة صلبة بذاتها لكنك ستسرّ بها بما انها مجلوبة من بلد سحيق وباكورة امثالها . . . لانهُ اول مؤلف من نوعه كُتب في بلاد رومانيّة في اللغة اللاتينيّة وهو لا يليق بمقامك بل هو عربون تعلقي واخلاصي الثابتين انا المزمع ان اعود قريباً الى سورية لتوسيع نطاق الايمان الكاثوليكي على قدر استطاعتي »

وقد نشّطهُ الى العمل فائدة الدارسين الاوربيين الراغبين في تعلّم السريانيّة ومنفعة الموارنة الذين يرسلون الى رومية من سورية وقبرس ليتلقنوا العلوم الكهنوتية في مدرستها . وقد ذكر من لهم الفضل في حمله على هذا التأليف الكردينال باليوتي والمعلم الشهير يوحنا المعدان ريوندوس . ثم الحق بالمقدمة بحثاً مطولاً في فائدة درس اللغة السريانية وقدسيتها وشرفها

---

١) يوحنا الحوشبي الحصروني بن حاتم بن شمعون بن فهد (Leopardus) تلميذ المدرسة الرومانية دخل رهبنة مار عبد الاحد ثم استدعاه البطريرك يوسف الرزي ورقاه هو ويوحنا مخلوف الاهدني الى الاسقفية سنة ١٦٠٣ ثم ارسله سفيراً الى رومية انقضاء مصالح الطائفة وسفّر معه اربعة تلاميذ هم الشدراويان اسحق ومركيس والحصرونيان يوحنا بن الشدياق قورياقوس ومخائيل بن سعاده ابن عم الحوشبي وعاد منها سنة ١٦٠٦ . ثم ارسله البطريرك الى حلب حيث نادى باتباع الحساب الغريغوري وكان رؤساء الطوائف المنفصلة دفعوا اربعة آلاف غرش لطريقه فحضر الى المحكمة وافحمهم . وكان واعظاً شهيراً ومؤلفاً مجيداً ترجم الى العربية قسماً من الخلاصة اللاهوتية للقديس توما الاكويني وصنف كتاب قطف الازهار في اللاهوت الادبي وفحص غراماطيق عميرة وخدم الطائفة نحو عشرين سنة ومات في رومية في دير حلب مار بطرس ١٦٣٢ . وهو المقصود بقول القس الياس عويضه النزيري في زجليته : ومطران حنا الحصروني : فسّر ناموس كرشوني . راهب حافظ قانوني . دابر يكوز بالرعية

وقرّظ الكتاب الاستاذ بطرس أورتاس الاسباني في منظومة رقيقة المعنى رشيقة المبنى ختمها بحث الشبية على اقتناء هذا السفر الجليل الفائدة القريب المنال . ونحا نحوه في المدح كل الذين كتبوا في هذا الموضوع منهم المثلث الرحمات المطران اقليمس يوسف داود في مقدمة كتابه اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية قال: «ومن بعد ابن العبري لم يظهر بين السريان كتاب معتبر في قواعد اللغة السريانية الى ان قام بين امة الموارنة السريانية الغربية الساكنة في جبل لبنان فحولٌ من الادباء الخبيرين بهذه اللغة وصنّفوا كتباً شتى في ضبط قواعدها وذلك في القرون الثلاثة السابقة لعصرنا هذا اي السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر منهم جرجس عميرة الذي صنّف كتاباً مشهوراً في نحو اللغة السريانية باللاتينية واسحق الشدراوي ويشوع (الصحيح يوسف ابن حليب) العاقوري وابرهيم الحاقلاني وغيرهم»

وعدا هذا المؤلّف قد ذُكرت لعميرة ترجمة «الجديدة الى السرياني» اوردها الخوري يوسف مارون الدويهي في كلامه عن بطاركة الموارنة ولم نفهم ما يقصد بذلك ما لم يكن مراده القول ان عميرة اهتم مع رفقائه بطبع كتاب القداس الماروني في المطبعة المادبشية في رومية تتميماً لرغبة الكرسي الرسولي وكان ذلك سنة ١٥٨٤ فجاءت الطبعة متقنة ذات حرف سرياني جميل ونقوش بديعة . على ان هذه الطبعة لم يسمح باستعمالها بداءة ذي بدء لسببين اولهما انه ترك فيها سهواً نافورا ديونيسيوس بن حليب اسقف آمد الذي بدونه ܩܕܫ ܐܝܟ ܕܗܘܐ ويشوع بن شوشن . والسبب الثاني هو انهُ ابدلت فيه شيلة الكنيسة السريانية بالتي تستعملها الكنيسة الرومانية وحذفت دعوة الروح القدس وكان اتى هذا العمل الراهب الدومنيكاني الذي سبق لنا ذكره تزما طرّاقدون ان يسترخص من الحبر الاعظم او يستشير البطريرك . فرومية حرّمت استعمال كتاب القداس هذا كما ان البطريرك منعه لدن وقوفه على هذا التغيير وحظّر التقديس بموجبه الّا انهُ اضطر بحكم الضرورة ان يبيح استعماله بعد مدة لانهُ لم يكن من واسطة لطبع غيره حالًا (راجع منارة الاقداس ٢ : ١٦٦ و١٦٧ و ٣٢٦ والطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية ٨٧)

وقال حضرة الاب شيخو في اللمحة المنوّه بها ان كتاب القداس هذا اضيفت

اليه ترجمة مار مارون نقلها الى السريانية عن تاودوريطس جرجس الكرمسداني (١ ومخائيل الادنيتي وجبرائيل الصهيوني

ورجع عميرة الى لبنان سنة ١٥٩٥ على ما رواه العلامة السمعاني في ترجمة هذا البطريرك (المكتبة الشرقية ج ١) ويثبت ذلك ما كتبه عميرة في مقدمة غراماطيقه السرياني وهو انهُ ألفهُ قبل رجوعه القريب الى سورية . وعلى كل فاننا نعلم انه كان عاد الى وطنه قبل وصول الابوين ايرونيموس دنديني وفابيوس برونا الى لبنان موفدين من لدن الكرسي الرسولي للاسباب التي سنذكرها . ولا بد لنا من ذكر كلمة عن احوال الموارنة في تلك الايام ليسهل على القارئ اللبيب ادراك بعض الحوادث التي اذا جردت مما يحيط بها ويسبقها ويليها تصبح غير مفهومة او تحمل على غير معناها وسنقتصر على الامور الجوهرية مستندين الى تقارير المرسلين والتواريخ الاارونية وسواها

لاخلاف في ان حالة الموارنة الزمنية كانت شديدة الاضطراب في تلك الايام بسبب الغزوات المتوالية والبلص والنهب والحريق وما اشبه وكان لا مناص للشعب من اداء الضرائب ومال الظلم ولم يكن رجال الاكليرس في حرز من هذه المظالم . وقد ذكر الاب اليانو في تقريره الى الكرسي الرسولي انهُ رأى بالعيان السيد البطريرك يتوجه الى زيارة الشيخ يوسف حبيش كاخية الامير منصور بن عساف التركماني ويفقده قسماً من المال الذي ارسلهُ قداسة البابا مساعدة للبطريرك مع الاسقف جرجس البسلوقيتي (٢ ورفيقه الخوري اقليمس (٣ الاهدني من رومية . وكان اذا نزل الموارنة

---

١) سيأتي ذكر بعض ما عرفناه عنه

٢) جرجس البسلوقيتي مطران دمشق رقاه البطريرك مخائيل الرزي الى مطرانية دمشق سنة ١٥٧٧ وارسله في اليوم العاشر بعد ترقيته الى رومية مع الخوري اقليمس الاهدني لقضاء مصالح الطائفة واداء الطاعة للحبر الاعظم

عاد سنة ١٥٧٨ مع الاب اليانو وقد عاونه في ترجمة القانون قانوناً عربياً الملحقة بمجمع نيقية . واسمه مذكور في اللائحة التي أدرجت فيها القضايا التي ارسلها الاب اليانو الى البطريرك مخائيل الرزي ولما عاد الاب اليانو المذكور من رومية ارفده البطريرك الى طرابلس لاستقباله ثم حضر الاجتماع المنعقد في قنوبين ١٥٨٠ ووقع على ما جاء فيه وحضر انتخاب مركيس الرزي واما موته فنرجح انه حدث بعد ذلك بمدة قليلة

٣) اقليمس الاهدني رفيق البسلوقيتي الآنف الذكر الى رومية وبعد رجوعه سيم اسقفاً وذكر اسمهُ في العهد الذي قطعه البطريرك والاساقفة بان ينفذوا اوامر قصاد الكرسي الرسولي سنة ١٥٨٠

من قراهم الى المدن الساحلية سخّرهم اهلها المسلمون لقضاء امورهم واضطروهم الى نقل اثقالهم وامتعتهم وان امتنعوا عن ذلك قضوا عليهم بالاشغال الشاقة في دار الحكومة او في بيوت الخاصة

وكان لا بد للاهالي من الانحياز الى احدى فيئتي البلاد اي اليمنيين ذوي الرايات البيض او القيسيين ذوي الرايات الحمر وكان الامير منصور زعيم الفريق الاخير واليه تنتمي قرى كثيرة. اما الفريق الاول فيتبعه عدد كبير من المسلمين لكنهم في تلك الآونة لم يكن لهم زعيم

ولكثرة الضرائب وثقلها غادر قسم من المارنة ضياعهم والتجأوا الى بلاد الدروز الذين عرفوا ببسالتهم وعدائهم للاتراك في تلك الايام. وكان قسم قليل من المارنة يسكن بعض تلك القرى ثابتين على دينهم يؤدون العشور للبطريرك غير انهم في الخارج يتصرفون تصرُّف المسلمين يعتمّون بعمامة بيضاء وان سُئلوا عن دينهم اجابوا انهم تابعون الدين الاسلامي وقد عرف هؤلاء بالبياضية . وبسبب انقسام مسلمي زمام البلاد بعضهم على بعض وسرعة تغيّرهم على الرجال الذين كانوا يأتمرون بهم كان القلق متواصلاً وانتشار الاخبار من الداخل الى فريق من الفريقين لئلا يصبح احد الفريقين وكان ينجم عن ذلك طبعاً ضرر للارض ونقص الغلات

ومما يذكر انه في سنة ١٥٩٣ حدث فحشٌ في الاسعار في الشام فبيعت الغرارة بمائة غرش ومات من الجوع اناس كثيرون. ولا عجب فان الرفاه والرقي الاقتصادي لا يكونان الّا في بلاد توافرت فيها اسباب الراحة واستتب النظام

اما من حيث الروحيات فافاض في وصف الحالة الاب اليانو ثم الاب دندني(١ : وقد خطر لنا ان نبسط القراء ما بدا لنا في هذا الموضوع مستندين الى الوثائق التاريخيّة الراهنة لعلّهُ يكون من ذلك فائدة لفقه الامور التي جرت في تلك الازمنة . قال الدويهي في تاريخ الازمنة (وهو مخطوط) انه في سنة ١٥٩٥ سام البطريرك سركيس في عيد ميلاد الرب يوسف بن موسى اخيه اسقفاً (على دمشق) وارسله سفيراً الى

ثم عيّن مساعداً للبطريرك وذكر الدويهي وفاته سنة ١٥٩٨ ووصفه بالحازم واصالة الرأي . اوفده البطاركة مرات الى رومية

١) اطلب حياتها في كتاب الاب شيخو «الطائفة المارونية والرهبنة اليسوعية»

البابا اقليمس الثامن بسبب قضاء امور الطائفة وليهنئه بارتقائه الدرجة المقدسة فاستقبله البابا باكرام وعند عودته ارسل صحبته قسيسين من شركة اليسوعية وهما جيرونيموس دنديني وفابيوس برونا ليتأملا الفائدة التي تصدر من التلاميذ الذين تربّوا في رومية.

وقال الاب دنديني في اخبار رحلته «انهُ كان بلغ مسامع الحبر الاعظم والكرادلة من مدة طويلة بعض الوشايات بحق الموارنة وكان قوم نسبوا اليهم عدّة اضاليل وبدع. وكان الموجودون منهم في رومية يسعون لتزكية طائفتهم الّا ان الامور لم تنجلِ فكان بعضهم ينفي والبعض الآخر يثبت ذلك حتى صعب الوقوف على الحقيقة (في رومية) ... واذ كان الكرسي الرسولي ينفق المبالغ العظيمة لتهذيب احداث الطائفة في المدرسة المنشأة لهم وقد اتى منهم آخرًا الى رومية فريق كبير لا يستطيع معظمهم ان ينكبوا على الدرس لغضاضة سنهم حتى ازدادت النفقات فسبب ذلك بعض الاستياء في الحاشية البابوية ولاسيما انه كان قد بلغهم ان الذين أنهوا دروسهم ورجعوا الى وطنهم في العام المتصرم (١٥٩٥) لم تعهد اليهم وظائف يقومون باعبائها مع كونهم اتقنوا الدروس الفلسفية واللاهوتية وبلادهم بغاية الحاجة الى عملة نشيطين يؤيدون الدين. فبناء عليه عزم قداسة الحبر الاعظم على ان يرسل رجلًا ثقة يبحث بحثاً دقيقاً عن احوالهم الدينية وامورهم الادبية ليوقف عند رجوعه الكرسيّ الرسولي على ما لحظه وتبيّنهُ ثم يسعى بحسن اختيار الاولاد الذين يرسلون الى المدرسة المارونيّة من حيث بلوغهم العمر المناسب ومن حيث توقد الذهن ثم يهتمّ بان يولّى التلاميذ الذين انهوا دروسهم رعاية النفوس وتدبير كنائس طائفتهم» (عن كتاب رحلة الاب دنديني). وفي التعليمات الدقيقة الحكيمة التي زودها الاب كلوديوس اكواڤيڤا راهبه الفاضلين تجد ما يحسن معرفته والاسترشاد به اذ انه بعد ان فصّل لهما ما يجب عمله تتميماً لاوامر الكرسي الرسولي قال: «انهُ في المعاطاة مع اي كان من الطائفة يجب التذكر انه لا بد من سبق الافتكار ان هذه الطائفة هي كاثوليكية من زمن بعيد جدًا وهي طائعة ومحبة للكنيسة الرومانية واذا وجد بعض الاضاليل فيما يخص الايمان فذلك يُنسب الى معاطاتها مع سائر الطوائف المجاورة الهرطوقية او المنفصلة لا الى هرطقة تتمسك بها هذه الطائفة»

فاذا قابلت هذه الاقوال بما كان قاله البطريرك يوسف الرزي في عريضته الى الحبر

الاعظم (١٥ آب ١٦٠٣) وهو «ان علّة وجود هذه الاغلاط في الكتب المارونيّة ورواجها بين فريق منهم هو استعمالهم والهراطقة لغةً واحدةً في طقوسهم» سهل عليك ان تدرك الاسباب التي حملت البعض على اتهام الموارنة بالهرطقة ونسبة الاضاليل اليهم وهم يتبرّأون منها بحق لانها ليست لهم حقيقةً ولا هم بها متمسكون

وكذلك زعم كثيرون من الذين اتوا لبنان قبل الاب اليانو ان الموارنة ارتدّوا الى الكنيسة فعين الواحد عهدًا لهذا الارتداد خالفَهُ فيه الآخر وهلم جرًّا حتى ان بعضهم نسب الى البطريرك جرجس عميرة نفسه هداية طائفته الى الايمان الكاثوليكي . ولما كان اغلب هؤلاء الزائرين يعودون الى الغرب وينشرون فيه رواية رحلاتهم دون ان يدركوا عادات الشرقيين كان يضطرب من مطالعتها فكرُ قرائهم وتشيع كتبهم فيتم لها خصوصاً في رومية رجال الكنيسة الساهرة بعين يقظى على صحة الايمان وسلامة الاداب واستقامة التعليم

فضلاً عن ان بعضاً من موارنة قبرس كانوا قد رفعوا عرائض الى الكرسي الرسولي بما يتهمون البطريرك مخائيل الرزي انه عمالٌ لليعاقبة لانه من قرية بقوفا حيث كان نزل بعض هؤلاء الهراطقة . وكان قد حضر احد اساقفتهم الى قنوبين يوم كان المجمع منعقدًا في ١٦ آب ١٥٨٠ يصحبهُ احد علماء طائفته فعرضا ما عن لهما من الاعتراضات فافحمهما الاب اليانو . لكن اهل بعدن كانوا طردوا هؤلاء اليعاقبة من بقوفا من مدة ولم يبقَ فيها غير الموارنة الخاضعين للكرسي الروماني

وقد اتخذ خصوم بيت الرز هذه الحجة مرات كثيرة ليسودوا صحيفتهم في رومية مستندين الى ما قدّمنا

فهل من سبيل بعد هذا الى الاندهاش من امتعاض البطاركة الذين قاموا من عائلة بيت الرز الكريمة مما يرشقهم به اعداؤهم من التهمات وهل كان يمكنهم السكوت عن هذا الحيف اللاحق بديانتهم وبصيت طائفتهم عموماً

ثم لا بدَّ من التنبيه الى ان بطاركة الطائفة المارونيّة لما كانوا يرسلون الى رومية موفدين ينوبون عنهم بتقديم واجب التهنئة والخضوع للاحبار الاعاظم كلّما تبوأ احدهم الكرسي الرسولي كان بعض المؤرخين يستنتجون ان البطاركة كانوا في جميع تلك الفرص يطلبون التثبيت ودرع الرئاسة او يجحدون هرطقة (لها بقيّة)